نظرات في مجلة الصوفية (١)[١]

قيل لي: لقد صدرت للصوفية مجلة. قلت: مرحبًا بها سلاحًا يقضي علىٰ مبتدعه، اعترافًا صريحًا يجعل المترددين يؤمنون بأن خلف الصوفية عين سلفهم، وأنهم يدينون بدينهم، ويدلجون سراةً حيارىٰ في نفس التيه السحيق العميق!! وأنهم يبذلون جهد الدين والدنيا في سبيل صون تراثهم، هذا التراث الذي يحق له أن ينتسب إلىٰ كل شيء إلا شيئًا واحدًا تسامت بهداه الإنسانية، وبنت به أمجادها فوق قمة الخلود، ذلك هو الإسلام.

إن اسم المجلة نفسه يحمل طابع المغايرة بين الإسلام وبين التصوف، فاسمها «مجلة الإسلام والتصوف» إن المشرفين علىٰ المجلة اختاروا لها هذا الاسم، توكيدًا لما يدينون به وهو أن الإسلام غير التصوف، وإلا فما معنىٰ عطف التصوف «بالواو» علىٰ كلمة الإسلام، وأظنهم لا يجهلون أن العطف يقتضي المغايرة!!

وقرأت في المجلة مقالًا للأستاذ الكبير أنور السادات[٢]، واستوعبت المقال جيدًا، ثم ابتسمت. ذلك لأن مقاله ليس تأييدًا للصوفية كما أحب أصحاب المجلة تصويره للقراء. وإنما هو نقد حكيم فيه جرأة الثورة، وقوة الحق؛ لأنه ثورة علىٰ الصوفية، وحَقٌّ يَجْبَهُ الصوفية بالمروق عن الدين الحق، إنه دَمْغٌ للصوفية بكل خصائصها ومقوماتها منذ نشأ شيء اسمه التصوف!! إنه يهتك عن سرائر الصوفية

---

(١) (١/ ١٣٧٨هـ).

(٢) رئيس جمهورية مصر العربية الراحل. (ض).

ومعتقداتها القناع، فتبدو كما هي في قلوب معتنقيها، لا كما يحبون هم أن يتراءوا بها أمام الناس، وأن يفتنوا الدهماء عن بواطنها، إنه حكم عدل سجلوه بأنفسهم في مجلتهم يحكم عليهم بأنهم فئة نابذت الإسلام، وكانت عونًا للمستعمر عليه!!

اقرأ له وهو يعدد طوائف الدخلاء علىٰ التصوف، ومن ثَمَّ تؤمن بأنه لا يعدد الدخلاء، وإنما يعدد نفس شيع التصوف ونحلها منذ نشأت، وإلىٰ أن تبيد.

يقول: (ولكن بعض الدخلاء علىٰ الصوفية اتخذوها مطية للشهوات، وموردًا للكسب والارتزاق، فأصبحوا يشترون بآيات الله وإيمانهم ثمنًا قليلًا، ويقبلون علىٰ موائد الحكام والطغاة).

أُوقِنُ أن هذا القول يشير بدلالته القوية إلىٰ الصوفية المعاصرة أبلغ دلالة.

ونحن لا ننسىٰ، وأنور الثائر لا ينسىٰ لياذ الصوفية بفاروق، وقد خشعت بين يديه خشوع الكهنة تحت أقدام الصنم، وشيخهم الأكبر يقول لفاروق: (بك نستضيء، ومن هديك نسترشد، ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدىٰ)[1].

إن الصوفية لم تكتف بقولها: (نستضيء بك، ونسترشد من هديك) بل أبت إلا أن تؤكد أن رب هداها ورشدها هو فاروق وحده لا شريك له[2].

ثم اقرأ قول الثائر: (واتجه بعض الدخلاء علىٰ الصوفية إلىٰ الطقوس والرسوم والمظاهر المادية القائمة علىٰ لبس المرقعات والزهد في الطيبات والانغماس في

---

(١) اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ٢٥/ ٣/ ١٩٤٧.

(٢) ذلك لأن تقديم الجار والمجرور في قوله: (بك نستضيء، ومن هديك نسترشد) يفيد القصر، أي: قصر استضاءتهم علىٰ فاروق، وقصر استرشادهم علىٰ هدي فاروق!!.

القذارات وإطالة الشعر وحمل المسابح، والإكثار من الأحجبة والتعاويذ وجر السيوف الخشبية).

ويقيني أن هذه الصور بواقعيتها المخزية، وتجسدها المقيت يؤذي ناظريك في غدوك ورواحك، وأنت ترمق من بعيد العاكفين علىٰ القباب واللائذين بالأضرحة والمعربدين في مباءات الدنس التي يسمونها «موالد»!!

أما دعوىٰ الزهد، فيبشر بها كبار الشيوخ بين دراويشهم، فحسب؛ ليحمل هؤلاء إلىٰ شيوخهم ما كسبت أيديهم، وقصة الزهد مع الصوفية قصة قديمة ترجع إلىٰ «ماني» ذلك المتنبئ المجوسي الذي ظهر في فارس، وادعىٰ أن الظلام امترج بالنور وأن إله النور لن يستطيع الخلاص من الظلام إلا بعد فناء العالم، ولذا وصىٰ بالزهد في الحياة، والصيام الطويل، والامتناع عن الزواج. وظهر أثر هذه المانوية في أحاديث موضوعة يرويها أبو طالب المكي شيخ الصوفية القديم، ومصدر إلهام الغزالي في كتابه الإحياء.

يقول أبو طالب ناسبًا إلىٰ النبي قوله، والرسول ﷺ براءٌ من هذا البهتان المفتضح: (لَأَنْ يُرَبِّيَ أحدكم جَرْوَ كلب خير من أن يربي ولدًا) وقوله: (إذا كان بعد المائتين أبيحت العزبة لِأُمَّتي)[1].

ويقول الجنيد - وهو شيخ الصوفية الذين يسمون أنفسهم معتدلين -: (أحب للمبتدئ ألا يَشْغَل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله: التكسب وطلب الحديث،

---

(١) انظر (صـ١٥٠/ جـ٤) قوت القلوب ط١٣٥١.

والتزوج. وأحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه)[١].

إنها المانوية المجوسية نفسها، ولقد تلقفها المستعمر، وذهب عنه الصوفية يبشرون بها في الشرق؛ ليصبح أشباحًا هزيلة تترامىٰ ظلالها الواهنة علىٰ تيه العدم!!

ثم يقول الكاتب الكبير: (وهناك فريق ثالث من الدخلاء شوهوا التعاليم الصوفية عن جهالة أو سوء نية، فأدخلوا فيها ضروب الألاعيب وشتىٰ الأحابيل بما يشبه الكرامات، فهم يلتهمون النيران والزجاج ويأكلون الثعابين ويمشون علىٰ السيوف، ويدقون الطبول ويقرعون الدفوف ويعزفون الموسيقىٰ الصاخبة، ويتمايلون علىٰ أنغامها في حركات راقصة هستيرية لا يقرها خلق ولا دين ولا قانون)، وهل أنت بحاجة إلىٰ مَنْ يؤكد لك أن ما صوره الأستاذ الكبير إنما هو منتزع من الصوفية المعاصرة، وما حلقات الذكر والوثني التي يعربد فيها الشيطان إلا دليل صدق علىٰ ما نقول. انظر ما تقترفه الصوفية في أيام الجمع حول قباب الهامدين من آلهتهم!! وانظر ما تجترحه في أعياد الأصنام الموسمية في سرادقات السحت.

ثم يقول السيد أنور السادات - وهذا بيت القصيد -: (وهناك فريق رابع من الدخلاء حاول مزج الدين بالفلسفة والسياسة بالشريعة، فزعم للدين ظاهرًا وباطنًا، وادعىٰ أن هناك شريعة للخاصة وأخرىٰ للعامة، وحاول إقحام التعاليم الهندوكية والفلسفة الإغريقية الوثنية، فعقد من الدين ما سهل، وصعب منه ما وضح، وكاد يفتن الناس عن دينهم السمح القائم علىٰ الفطرة التي فطر الله الناس

---

(١) (صـ١٣٥/ ج٣) المصدر السابق واقرأ كتابي: «هذه هي الصوفية» ففيه تفصيل لهذا الإجمال.

عليها: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

وعلىٰ ما قال الأستاذ الكبير، قام التصوف منذ نشأ شيء اسمه التصوف، بل لا يعتبر صوفيًّا إلا من آمن بأن للدين ظاهرًا وباطنًا، وما قدست الصوفية من كهنتها إلا أولئك الذين مزجوا الدين بالفلسفة الإغريقية الوثنية وبالتعاليم الهندوكية. وإليك الدليل مما كتبه الأستاذ أبو الوفاء التفتازاني[1] في العدد الثاني من المجلة نفسها: (إن بعض الصوفية الذين كان لهم نصيب وافر من دراسة الفلسفة والمعرفة بمناهجها واصطلاحاتها قد مزجوا التصوف بموضوعات الفلسفة، وخرجوا لنا بنظريات هي مزيج من الذوق والفلسفة، ولعل أبرز هؤلاء ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والصدر القونوي وعفيف الدين التلمساني).

وابن عربي عند الصوفية كما تنعته المجلة نفسها «شيخ الصوفية الأكبر» وابن

---

(١) محمد أبو الوفا التفتازاني (١٤إبريل، ١٩٣٠ - ٢٨ يونيو، ١٩٩٤) فيلسوف مصري، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر في الفترة من ١٩٨٣ إلىٰ ١٩٩٤، وله العديد من المؤلفات منها:

- ابن عطاء الله السكندري وتصوفه.
- ابن سبعين وفلسفته الصوفية.
- ابن عباد الرندي (حياته ومؤلفاته). معهد الدراسات الإسلامية - مدريد إسبانيا.
- مدخل إلىٰ التصوف الإسلامي.
- الإسلام والفكر الوجودي المعاصر.
- المنهج الإسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية الحديثة المعاصرة.
- العلاقة بين الفلسفة والطب عند المسلمين. (ض).

الفارض هو - كما سمته المجلة: «شاعر الإلهام الأعظم»، وقد حكم الأستاذ الكبير أنور السادات بأن من مزجوا الدين بالفلسفة قوم خارجون عن الدين، والمجلة نفسها تقول عن كبار شيوخهم أنهم مزجوا الدين بالفلسفة، وهؤلاء هم سادة الصوفية وأربابهم وآلهتهم. هذا يدعوك إلىٰ الإيمان بأن الصوفية هي هي هذا الشيء الذي سماه الثائر البطل دخيلًا عليها، إنه في الحقيقة أراد أن يقول للصوفية: إن من يقوم بهذا، ويفعل هذا فهو دخيل علىٰ الإسلام.

لقد فرح الصوفية بمقال الأستاذ الكبير، وموهوا علىٰ الناس بأنه تأييد لهم، وما إخالك الآن إلا موقنًا بأن الثائر بمقاله هذا إنما هدم أصنام الصوفية علىٰ رءوس كهنتها.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نظرات في مجلة الصوفية (٢)[١]

لسنا في حاجة أبدًا - ونحن نعمل لتحديد معاني القيم، والدعوة إلىٰ تمييزها عما يشوبها - إلىٰ أن نستبدل الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، إلىٰ أن نضع لروحانية الإسلام اسمًا آخر، ليست له في النفوس القداسة الإلهية التي تطيِّب الروح بالنبل والسمو، وليس له المعنىٰ النبيل الذي يشرق بالسلام، السلام النفسي بالعقيدة الخالصة، والإيمان المطمئن، السلام الاجتماعي بالإيثار الكريم، والإخاء الوفي، السلام الإنساني العام بدعوة الإسلام الصادقة إلىٰ التعاون المثمر مع الناس جميعًا، ما لم يجدِّفوا بالحق، أو يفتروا البهتان عليه، أو يثيروا الحرب ضده، أما الصوفية فلا تثير في النفس إلا الغثيان، وإلا ذكريات ما زالت مناحاتها مُعْوِلَةُ الجراح ومآسيها يضل في تيهها فجر الأمل، ذلك لأنها - أي: الصوفية - السبب فيما عانىٰ المسلمون وكابدوا من مهانة ومذلة علىٰ يد الطغاة الذين أججوا ضد الإسلام أحقاد المجوسية وثاراتها، وكانت الصوفية مطية هؤلاء إلىٰ بلوغ هذه الغاية الجامحة.

إن الصوفية أمشاج من كل الضلالات، وشوائب من كل الزندقات التي تَلَظَّىٰ أوارها لتقضي علىٰ الإسلام، إنها اسمٌ يُرادف الخمول والذلة والمسكنة، يرادف الفرار الجبان من الحياة، يرادف الخوف الرعديد من إشراق الحق، يرادف الدجل والشعبذة والإلحادية الماجنة الغواية، والتي تتراءىٰ في شفوف من سحر الخيال ونسيج الأوهام تسمىٰ: روحانية، وإلا فأتوني بصوفي واحد منذ نشأت

---

(١) (٢ / ١٣٧٨هـ).

هذه الصوفية عاش مع الله في سلام، أو جعل من كتاب الله الحجة والإمام!!.

قيل: إن الإسلام تعرض لموجات متتالية من الدخلاء والمتعصبين، كما تسربت إليه أكداس من الإسرائيليات، وعقائد الأمم القديمة حجبت كثيرًا من أضوائه، وشوّهت كثيرًا من صحائفه النقية، فالتبس الحق بالباطل، واختلط الضوء بالظلام.

فمن هم الذين اجترحوا ضد الإسلام هذه الجرائر، ثم آووا إلىٰ كهوفهم ومغاورهم يضجون علىٰ عويله الضحايا بطرقات حبات المسابح المرائية؟

إن الصوفية علىٰ رأس هذه القائمة السوداء التي تطفح بأسماء عدو الإسلام.

من هم الذين دعوا المسلمين وهم في عنفوان مجدهم وأوج قوتهم إلىٰ العزلة عن الحياة، واللياذ بالكهوف الداكنة، وقضاء الليل في هينمات دونها أبواب السماء. إنهم الصوفية؟ ليحيلوا قوة المسلمين ضعفًا، وعزتهم ذلة، ودأبهم المكافح الصبور في سبيل بناء الحياة خمولًا يستنيم للحشرجة المحتضرة.

من هم الذين كَدُّوا في سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله، إلىٰ كتب أخرىٰ نسجتها عناكب الأساطير، وحشاها أصحابها بما يفسد العقيدة، والخلق والفكر، وزوروا فيها علىٰ النبي الأعظم ﷺ أحاديث تدعو إلىٰ صرف الجهد لا في سبيل البناء، بل في سبيل الهدم، ولا في سبيل الحرية، بل في سبيل الاستسلام إلىٰ كل غاصب، ولا في سبيل الفضيلة، بل في سبيل اقتراف الرذيلة، بدعوىٰ أن في هذا طاعة للقضاء والقدر؟ إنهم الصوفية.

منَ هم الذين قالوا للمسلمين: لا تقولوا: يا رب. بل قولوا: يا صنم؟

إنهم الصوفية.

من هم الذين صرفوا المسلمين عن بناء الحياة إلىٰ بناء القبور؟ إنهم الصوفية!!

من هم الذين نقلوا المسلمين من سادة إلىٰ عبيد، ومن أعزاء إلا أذلاء، ومن أقوياء بالحق والعدل إلىٰ ضعفاء، لا يقوون إلا حين يعدو بعضهم علىٰ بعض؟ إنهم الصوفية!!

من هم الذين صرفوا المسلمين عن عبادة الحق إلىٰ عبادة الباطل؟ إنهم الصوفية.

من هم الذين جعلوا من كرامات الأولياء اقتراف الفاحشة، وهتك السوءات؟ إنهم الصوفية.

اقرأوا ما خلف الصوفية من تراث الوثنية، وسوف تتهموني بالتقصير لا بالْغُلُوِّ، وبالتفريط لا بالإفراط.

مَنْ دعاة الزهد المانَوِيِّ؟ أي مَنْ دعاة العزلة والفرار والجبن والخمول؟ إنهم أقطاب الصوفية ومنهم أبو طالب المكي، والجنيد، والغزالي.

مَنْ دعاة العبودية للكهان والأحبار؟ اسمع للقشيري - وهو المعروف بالاعتدال في صوفيته كما يزعمون - يقول وهو مؤمن بما يقول عن معروف الكرخي[1]: (يستشفىٰ بقبره يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب). وينقل قوله الآتي في إعجاب. (إذا لك حاجة إلىٰ الله؛ فأقسم عليه بي)[2].

---

(١) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، ولد من أبوين نصرانيين، أسلم وكان من موالي علي الرضا بن موسىٰ الكاظم، ومنه أخذ العهد، ثم صار بوابًا لموسىٰ، وصحب داود الطائي. [انظر: طبقات الصوفية (صـ٨٣-٨٥)، طبقات الأولياء صـ(٤٩٣)]. (ض).

(٢) ص(٩) الرسالة القشيرية مطبعة التقدم.

يقسم علىٰ الخلاق بمخلوق، قولوا لصوفي: اذكر الله. وسترونه يستأذن وسائط ميتة كثيرة قبل أن يذكر الله ليأذنوا له!!.

إذ يوجب الصوفية علىٰ الذاكر قبل أن يذكر الله.. أن يستحضر شيخه، وأن يستمد منه عند الشروع فيه فيقول: مددك يا أستاذي، وأن يرىٰ أن استمداده منه عين استمداده منه ﷺ. فإنه الواسطة إليه، وأن يستأذن شيخه بقلبه، فيقول: دستور يا أستاذي، وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدم، وهم أهل السلسلة، فيقول: دستور يا أصحاب الطريق والقدم)[1]. قبل أن يذكر الصوفي الله يجب عليه أن يستأذن الأصنام!!.

أهذا دين يسمو بالإنسانية؟ أهذا دين يدعو إلىٰ كرامة؟

أهذا دين يدعو إلىٰ تقويم النفس بالحق من دين الله، حتىٰ تكون لها الذاتية التي تشعر بواجبها وتعمل في سبيل أدائه؟ أم هذه صوفية تهفو بالإنسانية إلىٰ حضيض الذلة والعبودية، وإلىٰ الإمحاء الكلي في سبيل طاغوت أو وثن؟!.

من الذي صرخ بهذه الحلولية الصليبية؟:

سبحان من أظهر ناسوته ... سِرَّ سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرًا ... في صورة الآكل والشارب

حتىٰ لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب[2]

---

(١) ص(٢٨) وما بعدها من رسالة للأستاذ الصوفي أحمد عبد المنعم الحلواني، ص(٨٦) رسالة منحة الأصحاب للرطبي.

(٢) الطواسين للحلاج ص(١٣٠).

إنه الحلاج الذي سمته مجلة الصوفية: «شهيد التصوف الإسلامي[١]» شهيد!!

هذا هو ميسم الصوفية العام، تضع للألفاظ غير معانيها، وتسمي الأشياء بغير أسمائها، وتضع للباطل اسم الحق!!

شهيد وهو الذي يدعو إلىٰ الحلولية الصليبية، ويؤمن بها، ويجاهد - وقد أفلح - في سبيل أن يحول كثيرًا من المسلمين إليها.

شهيد وهو يزعم أن هوية الذات الإلهية حالة في كل إنسان! هذا العربيد في حانات الإثم والغواية إله من آلهة الصوفية.

أليس إنسانًا في باطنه إله؟! هذا الفاتك الذي تعول دماء الضحايا علىٰ مشافره وهو يلعقها، إنه رب من أرباب الصوفية، أليس إلهًا في صورة إنسان هذا الظلام الذي يغتال حقوق الشعوب؛ إنه إله من آلهة الصوفية.

أليس جسدًا يحتوي علىٰ روح الإله؟!

من الذي صرح بهذه الوحدة المادية:

(لا يُشَاهَد الحق - أي الله سبحانه - مجردًا عن المواد أبدًا، فشهود الحقِّ في النساء أعظم الشهود وأكمله، وأعظم الوصلة النكاح)؟

إنه ابن عربي الذي وصفته مجلة الصوفية «شيخ التصوف الأكبر» إله يتصل أزلُه بأبده، وأوليته بآخريته، وهو غير مجرد عن المادة، حذارك لا تطأ هذا الحجر الأصم بمناسمك، فإنه إله صوفي!!

حذارك لا تبصق علىٰ هذه الجيفة المنتنة، بل ارفعها فوق هامتك ثم سر بها

---

(١) ص(٦٤) العدد الأول من مجلة الإسلام والتصوف.

هائمًا في موكب من المشاعل...

إنها تستحق كل ذلك لأنها جزء من الإله الصوفي، وهذه المرأة ترود بجسدها حانات الليل تبحث عن العرابيد هنالك، وخبث الخمر يفوح من فمها الذي عربدت عليه الشهوات، هنالك هنالك اسجد لها خاشعًا، فإنها حقيقة الإله الصوفي الأكبر!!.

هذا دين شيخ التصوف الأكبر، وهذا هدف شيخ التصوف الأكبر، فماذا تريد من الصوفية أن يقولوه غير هذا؟ أليسوا صوفية؟! بلىٰ.